رسالة لجاري النصراني بمناسبة الكريسمس

جاري النصراني، يمكن أنت منتظر مني أقول لك: عيد ميلاد مجيد أو ميري كريسماس، خاصة وأنك هنأتني برمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى. وخاصة كمان أنك لمَّا تمرض بَزُورك ولمَّا تحصل عندك مناسبة اجتماعية بَهَنِّيك.

قبل ما نتكلم عن التهنئة بالكريسمس، اسمح لي أذكرك ببعض الحقائق عن ديني وعن الكريسماس وانت بعدها قل لي: متوقع مني أهنيك ولَّا لأ.

نبيي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما الأعمال بالنِّيات)..فأي حاجة أقولها أو أفعلها أنا كمسلم لازم أكون عارف لماذا أقولها أو أفعلها ولازم تكون نيتي فيها صالحة..

أنا لمَّا أهنيك بالكريسمس فيا إما أنا أفعل ذلك كطاعة لله، يعني عمل تَعَبُّدي، أو أنه أمر مباح فممكن أعمله من قبيل المجاملة لك.

تعال أولاً نتذكر ما هو الكريسمس علشان نشوف إذا كانت تهنئتي لك بالكريسمس أو مشاركتي معك في الاحتفال به هي مما يمكن فعله لوجه الله أو مما يمكن فعله علشان أجاملك.

الكريسمس هو اليوم الذي بدأ كاحتفال وثني، كما توضح المراجع النصرانية، ومنها دائرة المعارف الكتابية المجلد الرابع، والذي كتبه أربعة من القساوسة[1]، يعني على دينك أنت يا جاري النصراني، حيث يقول:

---

[1] المؤلفون هم: صموئيل حبيب، فايز فارس، منيس عبدالنور، و جوزيف صابر.

"لا يمكن أن نحدد بدقة اليوم والشهر اللذين ولد فيهما يسوع، فقد كانت هناك معارضة شديدة جدا في الكنيسة الأولى للعادة الوثنية في الاحتفال بأعياد الميلاد"....إلى أن قال: "وربما كان سبب اختيار الكنيسة الغربية ليوم 25 ديسمبر هو أن الرومان كانوا يحتفلون في ذلك اليوم بعيد إله الشمس".

وكما يوضح أيضاً بات بيتيرسون، أحد أشهر رجال الدين النصارى بأمريكا، والذي يقول أن يوم الكريسماس الوثني الذي كان يسمى (ساترنيليا)، كانت تُعَطَّل فيه القوانين في الدولة الرومانية ويطوف المغنون في الشوارع عراةً يغنون، وتقام فيه حفلات جنس جماعي.

يعني يوم فسوق وعصيان وسقوط لكل القيم الأخلاقية !

فعندما ظهرت المسيحية في إيطاليا لم يرغب الناس في التخلي عن هذا العيد، فقالوا: "خلص، سنقول أن ميلاد المسيح كان في هذا التاريخ."

يقول بات بيتيرسون بعدها:

"فكل هذه الطقوس وثنية. شجرة عيد الميلاد: وثنية..تبادل الهدايا: وثنية..كل جزء من الكريسماس وثني، نحن حولناها إلى طقوس مسيحية. وهذا جيد، أن يكون لدينا وقت نحتفل فيه بالمسيح..لكن الحقيقة أنها كلها طقوس وثنية".

وارجع إلى الفيديو حتى ترى بنفسك[2].

والقس الأمريكي David C Pack له مقطع بعنوان (Should Christians Celebrate New Year's?)، يعني: هل على المسيحيين أن يحتفلوا بالسنة الجديدة؟ يذكر فيه نصوصاً كثيرة من كتابكم يا جاري النصراني، الذي تسمونه بالكتاب القدس...هذه النصوص تحرم تقليد الأمم الأخرى في عاداتها، مثل ما ورد في سفر أرميا الإصحاح العاشر:

---

[2] الفيديو على هذا الرابط: https://youtu.be/SDyNIlUOjxg

"هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: "لا تتعلموا طريق الأمم"...إلى أن قال: "لأن فرائض الأمم باطلة".

فيطالب هذا القس David C Pack أبناء دينه بألا يقلدوا الناس على العَمَية[3].

****

فهل تتوقع مني يا جاري النصراني أن أحتفل معك بعيد وثني؟ أو أن أهنئك بهذا العيد الغريب عن دينك أصلاً؟!

قد تقول: "لأ، هذا كان في البداية، وماذا نريد بالبداية؟ نحن الآن لا نحتفل بهذا اليوم على أنه وثني...وإنما على اعتبار أنه يوم ميلاد المسيح".

- طيب ومن المسيح بالنسبة لك يا جاري النصراني؟
- "ابن الرب، والذي هو في الوقت ذاته الرب متجسدا في بشر".
- آها...شايف عقيدتك هذه؟ أنا كمسلم لا أراها شيئاً يستحق الاحتفال! بل أراها أخطر شيء عليك. وأنا خايف عليك منها، لأني أرحمُكَ وأحب لك الخير وحريص عليك، فخايف عليك تموت على الشرك. أنا أرحمك لأن قدوتي نبيي محمد ﷺ الذي قال:

(إنما مَثَلي ومَثَل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل يَنْزِعُهُنَّ ويَغْلِبْنَه فيَقْتَحَمْن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وهم يقتحمون فيها).

نبيي ﷺ هو القائل: (الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء)...(مَن في الأرض) بعموم.

فأنا خايف عليك وبرحمك ومش ممكن أخدعك.

---

[3] هذا رابط الفيديو، وابدأ من الدقيقة 5:10: https://youtu.be/ij5Nw--HNfI

أنا لو شفت بيتك بيحترق والنار جاية عليك وعلى أولادك لن آتي لأقول لك: (ميري كريسمس)! بل سأحاول إنقاذك من النار.

أنا كمسلم أحب نبيَّ الله عيسى عليه السلام وأعتبر نفسي أولى به، كما قال نبينا ﷺ: (أنا أولى الناس بعيسى)..تعرف لماذا؟ لأنه حسب القرآن الذي أؤمن به: (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (72)).

فأنا أخاطبك بنفس خطاب عيسى عليه السلام، وخايف عليك من غضب الله القائل:

(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا(91))

أنا كمسلم قوي الشخصية معتز بديني لا تتوقع مني أن أهنئك بهذا العيد أو أشاركك فيه وأُعَرِّض نفسي لغضب الله، وأخونك بدل ما أنقذك، علشان أظهر منسجما اجتماعيا وعلشان ما أظهرش منعزل ومتشدد وأُتَّهم بالرجعية والطائفية والمهلبية والملوخية وهذا الكلام الفارغ !

لأ..صِدقي معاك، أمانتي، حرصي على الخير لك..أهم من كل هذا الكلام. ومش مستعد أضحك عليك علشان ما أجرحشي شعورك.

عندنا مثل يقول: الله يرحم من بكّاني وبكَى علي، ولا يرحم من ضحَّكني وضحِك علي.

أنا لن أضحك عليك. مشاعرك تهمني، لكن إنقاذك من غضب الله يهمني أكثر.

- "طيب يا مسلمين مش كتابكم يقول لكم: (لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8))؟"

- بلى...ولأجل ذلك أنا أحسن إليك، مرضت؟ أزورك...احتجت مال؟ أعطيك وأساندك...توفي لك قريب، أعزيك بألفاظ شرعية... صار عندك مناسبة؟ أهديك هدية، تخرجت أو تزوجت أو فرحت بمناسبة اجتماعية غير دينية؟ أهنئك بألفاظ شرعية....

ديني يأمرني أن أكون عادلاً معك في المعاملات المالية وكل المعاملات..زميلي؟ أعينك ولا أتنافس معك منافسة غير شريفة، طالب عندي؟ أدرسك بأحسن ما يمكن وأَعْدِل معك في العلامات، موظف؟ أعطيك حقك.. لأن ربي قال لي: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ).

ديني يأمرني أن أكون أميناً مُسْتأمناً معك، بحيث تَأْمَنُني على دمك ومالك وعرضك، فلا أغدر بك ولا أغشك ولا أنتهك حرماتك...قال رسول الله ﷺ: (المؤمنُ مَن أَمِنَه الناسُ على دمائِهم وأموالِهم)، وهو حديث صحيح...(الناس)...هكذا بإطلاق.

ديني يوصيني أن أفي لك بالعهود، وأَصِلَ رحمك إذا كنت قريباً، وأن أسعى في أخذ حقك وأنصرك إذا كان مظلوماً، حتى وإن كان الظالم مسلماً..

- "حتى وإن كان الظالم مسلما؟!"
- نعم، لأن ديني دين الحق يدور مع الحق حيث دار.

أنا كمسلم معتز بديني أحسن لك يا جاري النصراني من ابن دينك.

وخذ بالك، أنا أفعل هذا كله تقربا إلى الله تعالى. مش نفاق ولا مصالح دنيوية، ولا علشان الوحدة الوطنية، لأن الوحدة الوطنية ليس لديها جنةٌ أعملُ لها ولا نارُ أهربُ منها. وإنما أعمل ذلك كله تقرباً إلى الله الذي أوصاني بهذا كله وجعل عليه جنة ونارا.

وأكبر فرحة لي يا جاري النصراني هي لما أقنعك بالدخول في الإسلام، كما فرحت لما أسلم أحد أبناء بلدي النصارى في بيتي بعد مناقشات وحُسن معاملة والحمد لله.

أما أن أهنئك بـ"عيد ميلاد الرب" كما ترى، فإما أني أشاركك فيما أراه شركاً، أو أني لا أعني ما أقول، وإنما أكذب عليك وأخادعك!

- "طيب والذين يقولون من الشيوخ عندكم أن هذه التهنئة من البر؟"
- لأ...كلام هؤلاء الشيوخ باطل، واحنا معندناش في الإسلام كهنوت ولا رجال دين يغيرون ما أمر الله به. فرسول الله ﷺ الذي نزلت عليه آية (أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) والصحابة وعلماء المسلمين عبر القرون فهموا الآية وعملوا بها ومَحَدِّش فيهم فهم أن تهنئتك بما تراه ميلاد الرب هو من البر !

****

- "طيب مش ممكن يا مسلم تحتفل معي وأنت تنوي أنك تحتفل بعيسى النبي وأنا أحتفل بعيسى الرب؟"
- لأ طبعاً !...ديني يأمرني أن أكون صاحب شخصية مستقلة مؤثرة لا متأثرة: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)، نحن كمسلمين يجب أن نكون قدوة للأمم، يتبعوننا على الحق ولا نتبعهم.

وهذا من تكريم وعزة الإسلام.

نبي ﷺ قال: (إنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا)، كما في البخاري ومسلم.

شوف التركيبة (إن لكل قوم عيدا)، مثل تركيب قول الله تعالى: (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا). كما لنا قبلتنا فلنا أعيادنا.

****

- "طيب يا مسلم لماذا لا نحتفل بنية أن هذا عام جديد فقط؟ لا نقصد به أي معتقدات دينية أنا ولا أنت؟"
- لأ مينفعش! حتى لو أنت محتفلتش بنية أنها مناسبة دينية فغيرك بيحتفل بها على هذا الأساس ويرفع فيها شعارات شركية. فالمسلم لازم يتمايز عن هذه الاحتفالات ويتبرأ منها.

المسلم يتمايز بشخصيته ومظهره حتى في الأمور العادية...روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم). يعني اصبغوا الشيب. هذا مع ان الشيب أَمر خَلقي، فما بالك باحتفالات لها أصول عقدية شِركية؟!

هذا التمايز ليس كبراً، وإنما الإسلام يريد للمسلمين أن يكونوا مسطرة معيارية ونموذجاً ناصعاً للأمم، بحيث مهما انحرفت فِطَرُ الناس وتغيرت عاداتهم وتأثروا بالجاهليات يبقى المسلمون بنقائهم وتمايزهم نبراساً للأمم يضيء الطريق.

****

قبل أن أختم، حابب يا جاري أَذْكُر لك كمان نص يبين لك حقيقة هذا العيد الذي تحتفل به..كتاب الميلاد البتولي/الظهور الإلهي، تأليف الراهب القس أثناسيوس المقاري..يقول:

"لم يكن في ذهن الكنيسة في عصورها الأولى، تحديد يوم بذاته للاحتفال بميلاد السيد المسيح. فالعلَّامة أوريجانوس (185- 254) يعترض على الاحتفال بأعياد الميلاد نظر لأنها في رأيِهِ عادة وثنية فيقول: "إن اثنين فقط في الكتاب المقدس احتفلا بعيدَي ميلادهما: الأول فرعون، وفيه قَطَعَ رأس الخباز...والثاني هيرودس، وفيه قطع رأس يوحنا المعمدان. فمَن عِنْدَه تقوى رَسُوليّة، لا يحتفل بيوم ميلاده ، لأنه في هذا يُشبَّه بالطغاة والوثنيين"...إلى أن يقول: "وبناء على كل ما سبق يصبح من المستحيل تحديد تاريخ محدد لميلاد يسوع".

****

ختاماً يا جاري النصراني:

(قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161)).

فأنا أدعوك إلى كلمة سواء تدخلك في التوحيد....لأني أرجو كما كنا جيراناً في الدنيا، أن نكون جيراناً في الجنة.

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64))

أسأل الله أن يهديك ويهدي أبناء المسلمين الذين يجاملونك على حساب خداعك وعلى حساب آخرتك.

والسلام على من اتبع الهدى.

أ.د. إياد قنيبي